

مظاهر القلق في القصيدة النسوية العراقية الحديثة (الاستهلال والانزياح والتضاد) مثالاً

أ.د. وسام علي الخالدي
كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة
wisam.alkhalidi@uokufa.edu.iq

رغد علي سطاتم الغزالي
كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة
rghdstam@gmail.com

الملخص:

خصص البحث (ظاهرة القلق في مصطلحات بنائية القصيدة النسوية (الاستهلال والانزياح والتضاد) مثالاً). متضمناً اثر الاستهلال واثر الانزياح واثر التضاد على القصيدة لبيان المواقف النسوية , وقد كثرت البواعث المرتبطة بالشخصية بحسب مصادرها , فقد عُدَّ الباعث النفسي من مصادر القلق المهمة موضوعه موجوداً في العالم الخارجي, وهي حالة وقف عندها العلماء , وانتقل هذا الموضوع الى الادب فحرى النقاد تلك المصادر التي يتعرض لها الانسان وتسبب له قلقاً يظهر في سلوكه بشكل عام , وقد افاد البحث من التقسيمات التي رآها المختصون وثبتها في كتبهم , وعليه جاءت التقسيمات التي تخص بواعث القلق في القصيدة النسوية , ومنها: البواعث الشخصية (الذاتية) . نستنتج من ذلك ان هذا الفن يعبر عن القلق تعبيراً واضحاً, فهو تساؤل عن قضية غامضة مجهولة عصبية على التفسير, فهو يحتاج الى إيقاع مؤثر لدى القارئ او السامع, وذلك ما تجسد عند الشاعرة نازك الملائكة وأنها قد استعملت أساليب متنوعة في جذب انتباه القارئ والسامع واستمالته وتشويقه بحسب موضوعات القصائد. ومن هنا نفهم ان بواعث القلق قد شكلت مع القصيدة النسوية محوراً رئيسياً من محاور تعبير الشاعرات عن احساسهن وقلقهن وعواطفهن الحزينة فكانت نتاجاً ثرا له ميزاته الخاصة والمميزة.

الكلمات المفتاحية: مظاهر، القلق، القصيدة النسوية، الاستهلال، الانزياح، التضاد.

The manifestations of anxiety in the Iraqi feminist poem (initiation, displacement, and contrast) as an example

Raghad Ali Sattam Al-Ghazali
College of Education for Girls -
University of Kufa

Prof. Dr. Wissam Ali Al-Khalidi
College of Education for Girls -
University of Kufa

Abstract:

The research devoted (the phenomenon of anxiety in the structural terms of the feminist poem (initiation, displacement and contrast) as an example.) including the effect of initiation, displacement and contrast on the poem to show feminist attitudes. The external, which is a situation in which scholars stopped, and this topic moved to literature, so critics investigated those sources that man is exposed to and caused him anxiety that appears in his behavior in general. The feminist poem, including: personal (subjective) motives. We conclude from this that this art expresses anxiety in a clear way, as it is a question about a mysterious, unknown issue that is difficult to explain. And its intrigue and suspense according to the themes of the poems. Hence, we understand that the causes of concern have formed with the feminist poem a main axis of the poets' expression of their feelings, anxiety and sad emotions, thus forming a rich product with its own and distinctive features.

Key words: Manifestations, anxiety, feminist poem, initiation, displacement, contrast.



المقدمة:

لكل نص أدبي خصوصيته التي تميزه عن غيره من النصوص، وإن كانت النصوص الأدبية تتبع معايير واحدة وتخضع لأساليب تكاد تكون واحدة، إلا أن كل نص ينفرد بخصائص فنية تمنحه فرديته وخصوصيته، لأن النص الأدبي يولد من شخصيات إبداعية مختلفة، فكل نص يكونه فكر صاحبه وثقافته وتجاربه وإمكاناته اللغوية والأسلوبية. والشعر النسوي بشكل عام له خصائص فنية عامة وخاصة، إذ يضيف إليها القلق معناها وهو المقصود؛ لأن ((المعنى الأدبي ينشأ من حالة قلق، وبينما يولد الشكل الأدبي والإيقاعات والجمال والكلمات من حالة القلق تظل المعاني حائرة غير محدودة إلى أن تسكن -ولو لم تطمئن كل الاطمئنان- في هيكلها اللغوي المحسوس، ومعنى ذلك أن عملية الاختيار في النص الأدبي على وجه الخصوص هي في الوقت نفسه عملية خلق للمعنى))^(١). وسنسلط الضوء في هذا الفصل على أهم الخصائص الفنية للشعر النسوي، بما يتعلق بالجوانب النفسية وأثر القلق في تشكيل النص الشعري النسوي بشكل دون غيره.

الاستهلال

النص الأدبي يتكون من عدة وحدات تتباين في أهميتها، ومن أهم هذه الوحدات هو الاستهلال، أي ما يبدأ به النص، لأن الاستهلال هو ما يحدد مقبولية النص عند السامع من عدمها، وهو إما يجذب المتلقي أو ينفّر منه، لذا عني النقاد القدماء والمحدثون بقضية الاستهلال عناية بالغة؛ لما له من أثر في جذب انتباه المتلقي وشده للنص، قال القاضي الجرجاني: ((على الشاعر الحاذق أن يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الجمهور وتستميلهم إلى الإصغاء))^(٢).

وقال أسامة بن منقذ: ((قال بعض الكتاب أحسنوا الابتداءات فإنها دلالات البيان))^(٣).

ومن ذلك يتبين أن للاستهلال وظيفتين رئيسيتين^(٤):

الأولى: جلب انتباه السامع أو القارئ وشده إلى الموضوع، ويتم ذلك بأدوات كلامية جميلة وأساليب مثيرة، وذلك من أهم أسباب نجاح النص الإبداعي.

الثانية: التلميح بأيسر القول عما يحتويه النص، وذلك لأن الاستهلال له موقع يرتبط به مع بقية عناصر النص برابط عضوي، ومن تشعبات هذه الوظيفة أن المعنى لا يأتي إلا مع الابتداء الحسن، ولا يقبل السامع الكلام إلا إذا كان صحيح المعنى، فيبين الاستهلال الوظيفة والغرض من النص.

وقد اشترط النقاد عدة شروط ووضعوا معايير للاستهلال الجيد، أو ما سموه ببراعة الاستهلال، قال القرطاجني: ((المباديء يجب أن تكون جزلة، حسنة المسموع والمفهوم، ودالة على غرض الكلام، وجيزة، تامة، وكثيرا ما يستعملون فيها النداء والمخاطبة والاستفهام، ويذهبون بها مذاهب من تعجيب أو تهويل أو تقرير أو تشكيك... وأن الصدور يجب أن تكون متناسبة النسخ، حسنة الالتفاتات، لطيفة التدرج، مشعشة الأوصاف بالتشبيهات))^(٥).

وأكد قضية العناية بالمتلقي و الاستهلال الجيد في إثارة المتلقي إذ قال: ((إن مما تحسن به المباديء أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أن يشرب ما يؤثر فيها انفعالاً أو يثير لها حالاً من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك))^(١).

ويشترط في الاستهلال ((أن يكون بكلام توليدي ديناميكي فاعل، الكلمة فيه مشحونة بالمعرفة والإحالة والتأويل والفاعل فيه مؤثر يرتبط بثيمة النص، ويبني جملته وفق صياغة أسلوبية تعد مركزية داخل النص، فإذا كان النص يكثر من الإحالات على الاستهلال أن يؤكد أيضاً، وإذا كان النص يكثر من شبه الجملة مثلاً على الاستهلال أن يؤكد، وهكذا، فالبنية الأسلوبية الشائعة والمؤكد في عموم النص على الاستهلال أن يؤكد كقوى فاعلة له))^(٢).

وتختلف طرائق الاستهلال بحسب النص وغرضه إلا أن ((أفضل البنى الاستهلالية على الإطلاق تلك التي تبدئ بفاعلية غامضة، مبهمة مع شيء من الإحساس بثقل الزمن، فمثل هذه البدايات تضع النص أمام امتحان ذاتي عسير، إما أن يوفي التركيبية الغامضة حقها من خلال البحث عن أبعادها ومجساتها الخفية وإما أن يسقط في المقدمات الاعتيادية...والاستهلال الغامض المبهم الإشكالي يوسع من فاعلية الإدراك والمخيلة والصنعة فهو إذ يعتمد الإرجاء والتأجيل للكثير من الحالات الجانبية إلا أنه يواصل الكشف بهدوء عن الحدث المركزي كما يسهم في تذكية فاعلية الترقب والشد، وهما عنصران مهمان في قراءة أي عمل له استهلال غامض))^(٣).

فبناء الاستهلال عند الشاعر يتمثل بالجملة الاستهلالية التي تتحول داخل النص إلى علامة تلازم جميع عناصر النص، وذلك عبر الفعل التوليدي التكراري لها داخل البنية النصية الكلية، فتكتسب تبعاً لذلك سمات الرمز وخصائصه، وهذا ما يعطيها خصوصيتها وتميزها، ويغني رمزيتها؛ لأن النص هو توليد تكراري متحول للجملة الاستهلالية^(٤).

ويشترط في الاستهلال أن يكون منسجماً مع موضوع القصيدة ومع عناصر القصيدة الأولى بما يمثل وحدة عضوية.

وقد تنوعت أساليب الاستهلال في الشعر النسوي، وسندرس هنا أساليب الاستهلال عند الشواعر العراقيات كما في قصيدة الشاعرة ام نزار الملايكة في ديوانها (انشودة المجد) تقول:

متى يا قلبُ تبسّم للحياة؟ فتخفق بالمنى والأغنيات؟

متى تحلو لك الدنيا فتهفو لمامي أفقها من مُغريات؟..

متى يا قلبُ؟ طال بي اكتابي وضجت نغمتي بالبلويات

فكم تأسى وكم تصف المآسي كأنك مُغرّم بالمشجيات^(٥)

نلاحظ استهلال القصيدة بالعتاب والتساؤلات، وهذا يدل على القلق بسبب فقدان السعادة وعدم تحقيق الامنيات، حيث استعملت الفاظ العتاب (فتخفق، فتهفو، طال بي، وضجت) ففكرة الاخفاق وعدم تحقيق الامنيات والسعادة كان باعثاً لدى الشاعرة في نظم هذا اللون من الشعر، وللفظتي (تأسى) و(مآسي) دلالة على كثرة الحزن وتكراره والقلق من المستقبل.

اما الشاعرة نازك الملائكة، نجد أنها قد استعملت أساليب متنوعة في جذب انتباه القارئ والسامع واستمالاته وتشويقه بحسب موضوعات القصائد ففي قصيدتها المعنونة بـ (مأساة الحياة) تقول نازك الملائكة:

عَبثًا تحلمين شاعرتي ما من صباح لليل هذا الوجود
عَبثًا تسألين لئن يكشف السرُّ ولن تنعمي بفك القيود^(١١)

إن هذا الاستهلال تعبير واضح عن موضوع القصيدة، فهو يحمل الأفكار والرؤى التي ينطوي عليها النص فابتداء القصيدة بجملة (عبثًا تحلمين) اختزل المعنى الكلي للقصيدة، ولا سيما تقديم لفظ (عبثًا) على الفعل (تحلمين)، ففكرة العبثية وعدم جدوى الاحلام والتطلعات التي ترمي إلى كشف سر الحياة كانت مسيطرةً على الشاعرة، فهذا القلق من عدم معرفة سر الوجود سواء أكان مأساة الحياة أو سعادتها هو ما كان باعثًا لها على نظم هذا اللون من القصائد التي تكشف استهلالاتها عنه.

اما الشاعرة لميعة عباس عمارة في قصيدتها (ديون الحب) تقول:

طَرُقُ
الطارقُ أعرِفُهُ...
الوجهُ يَبْلُغُ الخوفَ , وتضطربُ العينان.
ادخلُ

لا بأس عليكِ, فبيتي
بيتُ أبي سفيان.^(١٢)

استهلت الشاعرة قصيدتها بصوت الطارق على الباب وهي تعرف قلق الطارق وخوفه من دخول الدار، لأنه هرب من شيء يلاحقه، ثم تسعى لطمأنته بطريقة هزلية لتشبيه البيت ببيت أبي سفيان، فكانت الصورة التي رسمتها مجسمة للأشياء وقد اضفت عليها رؤيتها المتمثلة بشعرها (ادخل , فبيتي بيت أبي سفيان) , فهنا تضمين للقصة التاريخية المعروفة.
اما نازك في قصيدتها المعنونة بـ (في الريف) فهي تقول:

ما تقول الرياح؟ هذي هي الجنَّة هذي ظلالها الممدودة؟^(١٣)

ضمنت الشاعرة انفعالاتها النفسية في هذا الاستهلال، فابتدأت بالتساؤل عما تقوله الرياح، ثم تساءلت إن كانت الجنة هي هذه، لما تتضمنها من أوصاف كالظلال الممدودة وغيرها. ثم قالت في قصيدتها المعنونة بـ (قيس وليلى):

كيف مات المجنون؟ هل سعدت لي لي؟ سلوا هذه الصحاري الحزينه^(١٤)

لقد استهلت الشاعرة قصيدتها بالتساؤل أيضاً، تساءلت عن مصير قيس وكيف مات؟ ثم تساءلت عن ليلي هل سعدت؟ ولم تتساءل عن السعادة معه أو بعد موته؟ فالموت الذي يرتبط بوجود الحلم في شعر نازك غالباً، هو موت يأتي من الماضي أو يحيل إليه^(١٥)، فالحب والموت والسعادة والشقاء من أمور الحياة التي تستعصي على التفسير.

وكثيراً ما تستهل نازك قصائدها بالاستفهام الإنكاري الذي لا يراد منه الجواب، وإنما الغرض منه استثارة ذهن المتلقي وتشويقه.

فهذا الاستهلال يعبر عن القلق تعبيراً واضحاً، فهو تساؤل عن قضية غامضة مجهولة عصية على التفسير، لأن الموت لغز لم يحل... وفي قصيدتها المعنونة بـ (أحزان الشباب) قولها:

يا هموم الشباب فيم تكوين **ن أحرَّ الهموم والأحزان** (١٦)

استهلت القصيدة بالنداء، والنداء هنا غير حقيقي، إذ خاطبت هموم الشباب، وهذا الأمر لجلب انتباه المتلقي من الشباب الذي يعاني ما يعانيه من هموم وأحزان. وفي قصيدة الشاعرة أمال الزهاوي في قولها:

يا من خنقت اللحن في وتر
وقذفت حقد كلابك الشوهاة في دربي
يغتال حلم الضوء في قلبي (١٧)

وقد وظفت النداء لتستهل به قصيدتها تعبيراً منها عن القلق الذي انتابها اثر فعل الطغاة الذين وقفوا في وجه الحق، إذ وصفتهم بـ(الكلاب) دلالة على الكراهية والعداوة التي عانوها في حياتهم. وفي قصيدتها المعنونة بـ (آلام الشيخوخة):

يا دموع الشيوخ في الأرض هيبها **ت تجفِّين في العيون الشقية** (١٨)

استهلت قصيدتها أيضاً بالنداء، وكان النداء مجازياً أيضاً؛ إذ خاطبت دموع الشيوخ، ثم استعملت اسم الفعل (هيبها) لشد المتلقي الى كلامها، ف(هيبها) من الألفاظ ذات الوقع في ذهن المتلقي، وتعني البعد واليأس من أن تفارق الدموع عيونها الشقية، وهذا مما يروق بقصيدة تخاطب الشيوخ، فهم أكثر ميلاً للحزن والتباكي وفقدان الأمل، لما عانوه في حياتهم من محن وآلام. وفي قصيدتها المعنونة بـ (أنشودة السلام) تقول:

أيها السادرون في ظلمة الأر **ض كفاكم شقاوة وذهولا** (١٩)

تبتدئ بالنداء وهو من البنى الاستهلالية الشائعة في الشعر، فالنداء طلب إقبال المخاطب ولفت انتباهه بما تحدث عنه النص، ونلاحظ بدء استهلالات الشاعرة بالاستفهام أو بالنداء، وهذا نتيجة بواعث القلق الاجتماعي، إذ نجد صيغة الاستهلال نفسها في قصيدتها المعنونة بـ (في أحضان الطبيعة):

أيها الشاعرون يا عاشقي النيب **ل وروح الخيال والأنغام** (٢٠)

هنا أيضاً ابتدأت الشاعرة بالنداء لطلب إقبال المتلقين، فاستعملت النداء الحقيقي وذلك بمخاطبة الشعراء وعشاق النيل، لإثارة انتباههم وشدّهم لمضمون النص. فلم تلتزم نازك الملائكة نسفاً واحداً في الاستهلال بل تعددت أساليبها، ففي قصيدتها المعنونة بـ (أنشودة الرهبان):

نحن بالأمس تركنا صباناً **ووهبنا للسماء هواناً** (٢١)

إذ نجدها تستهلها بالعبارة (نحن بالأمس)، وهذا التعبير يوحي بالحنين للماضي وما كان من ألفة بين الأحباب الذين قد تركوها ودفنوا ذلك الحب العميق، فجد تشظي المعنى في كل القصيدة، كما في قولها:

لا تسلنا عن طراوة أمس **عن معاني ألف كأس وكأس**

أكدت بالاستهلال ما تحملته الشاعرة من معاني الحنين والألم على ضياع ذلك الحب والأنس، فأكدت هذا المعنى في قولها في القصيدة نفسها:

نحن ضيعنا روابي حلوه **ودفننا الحب في كل ربوه**

عبرت القصيدة عن قلق الشاعرة حول مصير الشباب وأحلامهم وأمانتهم، نتيجة حكم الرهبان الذين يحظرون على الشباب سبل السعادة والهناء، مما يضطر المحبين إلى كبت مشاعرهم وحبس أشواقهم. وفي قصيدتها المعنونة بـ (آدم وفردوسه):

حسبها أننا دفننا إليها **ثمن العيش حيرة ودموعا**
أي ذنب جناه آدم حتى **نتلقى العقاب نحن جميعاً؟(٢٢)**

هذا الاستهلال يعبر عن قلق الشاعرة من حصول الرزايا والمصائب وما يلقاه بنو البشر من الآلام والشقاء، فتنسأل ما الذنب الذي جعل البشرية كلها تتلقى عذاباً غير منقطع، فلو كان الجاني هو آدم لماذا نشقى نحن، مع أن آدم قد لقي عقاب ذنبه، فالحيرة والشك مما يلقاه الناس في زمن الشاعرة من الحروب والشقاء وفقدان السعادة والرخاء جعل الشاعرة تستحضر قصة آدم بدءاً من عقابه وهبوطه إلى الأرض ثم تشير إلى قصة ابني آدم (قاييل وهابيل) وما لاقاه آدم من عذاب عندما رأى ابنه قاتلاً وقتيلاً، وكأن هذا الذنب بقي لعنة على أهل الأرض، فنجد انسجام بنية الاستهلال مع النص، فلم نلمس انقطاعاً بل جاءت الأحداث مرتبة على وفق تسلسل منطقي وربطت الماضي بالحاضر عندما قالت في ختام القصيدة:

كلما أسدل الستار على حر **بِ أَطْلَتْ حَرْبٌ وَجَاءَتْ رَزَايَا**
رحمة يا حياة حسبك ما سال **من دمــــــــــــــــاء الضحايا(٢٣)**

وبذلك ربطت الشاعرة لفظياً ومعنوياً بين الاستهلال والختام، ففي جانب اللفظ نجد تكرار لفظ (حسب) في أول بيت وآخر بيت، وأما من جانب المعنى فالبيت الأول والأخير يعبران عن القلق واليأس وفقدان الحيلة وطلب الرحمة من الحياة، فكان خطابها خطاب المستعطف الطالب للرفقة، لأن ما يلاقيه الناس من العذاب فوق ما يطيقون، ولا ذنب لهم حتى يخرجوا من حرب ويدخلوا في أخرى، فإن كان ذلك عقاباً لذنب فقد استوفوا حقهم من العقاب. وللشاعرة صبرية الحسو قصيدة بعنوان (صوتك والرصاص) حيث تقول:

لكن صوتك كان اسمي

من كل ما يتقول المتقولون

من كل ما يتأمرون

وعلى سماع الصوت

صوتك انت يا عبد الكريم (٢٤)

نلاحظ تسلسل الألفاظ المذكورة أعلاه بنبر ظاهر النغم بتكرار حرف الكاف في مفردات (لكن , صوتك , كان , كل) مع حرف المد الألف بما يتناسب مع مراد الشاعرة وحالتها النفسية , لان التكرار يرتبط بانفعال الشاعر وشدة تاكيدته على الحدث المراد ايصاله الى المتلقي , فتسارعت عاطفتها التي صببتها في قالب لفظي ملازم للمضمون , فترى ما هو القلق الاجتماعي الذي ألجأها إلى هذا الشكل من التعبير وفي مطلع القصيدة وكأنها توحى للقارئ أن يهيا نفسه للولوج الصعب لعالم قصيدتها ذات عتبة العنوان (صوتك والرصاص) , فأوحى العنوان بأن هناك نوعاً من القلق والخوف , لكن القارئ ما أن ينتقل إلى مستهل القصيدة حتى يفاجئ بتلك الصدمة بسبب ما هياه العنوان من توقع الموت والجريمة , وهو متقل بألفاظ قاسية الوقع منبئة بأن ما يليها من مشاعر الأسى في انتظار القارئ حتى يدخل في عالم القصيدة .

وإذا انتقلنا إلى البيت التالي نجد أن الشاعرة قد تحكمت بالشكل وفق ما تريد للتعبير عن مكنون نفسها، مفردة (صوتك) توحى بأن هناك الغزاً تريد أن توصلها للمتلقي بان قصيدتها مليئة بالمفاجئات البعيدة غاية البعد عن تلك العتبة الخادعة، فإذا ما أخذنا البيت الثاني في قولها :

هدأت نفوس الثائرين

هدأت قلوب الأمهات

الخائفات على المصير (٢٥)

نجد الشاعرة قد عززت سياقاتها الخطابية للقارئ , فالتضاد الحاصل بين مفردتي (نفوس) (قلوب) أعطى معنىً لشكل البيت تمثل بتداخل الواقع بالوهم, فإذا ما تذكرنا أن القصيدة هي من الواقع السياسي فهذا يجعلنا نؤمن أن الشاعرة تعيش حياةً اجتماعية قلقة غير مستقرة ومتناقضة, وهذا يعزز خوفها ومن ثم معاودة قلقها الذي ازال خوفها.

وفي مطالع القصائد التي اعتادت الشاعرات في عصرهن وما سبق ان يكون المستهل او المطلع رتيباً وأصولياً للمحافظة على ما تعارف عليه نقاد ودارسو الشعر, فالشواعر العراقية حرسن على تقديم المعاني الاجتماعية المستمدة من الفقر والمرض, وما تاتي به بواعث القلق الذي حل بالأكثرية فبواعثهن في استهلالتهن تنتمي الى القلق الاجتماعي .

الانزياح

من أهم خصائص النص الأدبي هو الانزياح، فهو عنصر يميز النص الأدبي عن اللغة العادية المألوفة لما يخلقه من اقتراعات جديدة للألفاظ تنحرف عن رتابة التعبير العادي، إذ يستعمل المبدع المستوى الثاني للغة، المستوى الذي يبتعد عن المباشرة ويتجاوزها إلى الإيحاء. ولمفهوم الانزياح مصطلحات كثيرة ومنها: العدول والانحراف والخرق وانكسار النمط وغيرها كثير (٢٦), وكلها تدل على أن هذا المصطلح يعنى به ((استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصوراً استعمالاً يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من

تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر، وبهذا يكون الانزياح هو فيصل ما بين الكلام الفني وغير الفني)) (٢٧).

ومع قواعد اللغة تحفظ رتب الألفاظ وتحدد مواقعها ((فإن تحريك الكلمة أفقياً إلى الأمام أو إلى الخلف يساعد مساعداً بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي)) (٢٨)، ويعد الانزياح من أهم الظواهر الأسلوبية؛ لأن المسلك الأسلوبى قائم على مخالفة التوقع لإثارة المتلقي وجذبه، لذا فكل كسر متعمد للسباق المعتاد هو مسلك أسلوبى (٢٩).

وتتفاوت درجة الانزياح بحسب متلقي النص فيمكن لقارئ ما ((أن يستوقفه تعبير ما يخيّل إليه أنه خارج على المألوف بدرجة كافية ليعده انحرافاً، ومن ثم يرى فيه سمة أسلوبية قوية يستدل بها على شعور الكاتب أو على المعنى الذي يريد أن يثبتته في ذهن المتلقي مع أن قارئاً آخر أو قراء آخرين يمكن أن لا يتفقوا معه في ذلك، فبديهي أن كل قارئ يتأثر بطبيعته ومزاجه، ولا سيما إذا كان ثمة اختلاف بين عصر الكاتب وعصر القارئ)) (٣٠)، ولدراسة الانزياح في النص الأدبي قيمة دلالية وفنية، إذ إن رصد ظواهر الانزياح في النص تساعد على قراءته قراءة عميقة استبطانية تتعد عن القراءة الهامشية والسطحية، فيكون الانزياح بذلك ذا أبعاد دلالية وإيحائية تثير المفاجأة والدهشة، ويجعل من لغة النص لغة متوهجة مشعة ومثيرة، تمارس سلطة على القارئ عن طريق عنصر الغرابة والمفاجأة (٣١).

وقد رأى النقاد الانزياح نوعين رئيسيين (٣٢):

الأول: الانزياح الاستبدالي: المتعلق بجوهر المادة اللغوية، فعلى الرغم من أنه في ((مواضعة اللغات في مبدأ النشأة أن يكون لكل دال مدلول واحد، ولكل مدلول دال واحد، غير أن جدلية الاستعمال ترضخ عناصر اللغة إلى تفاعل عضوي بموجبه تنزاح الألفاظ تبعاً لسياقاتها في الاستعمال عن مواضعها الوضعية)) (٣٣)

فقد يتم الانزياح الاستبدالي عن طريق الاستعارة، فيستعمل اللفظ بمعنى غير معناه المعهود. كما قالت نازك الملائكة:

سحق الحب قلبه المرهف الغضّ فعاش الحياة دون مقرّ (٣٤)

استعملت الشاعرة لفظ (سحق) وهذا اللفظ هنا انزياح استبدالي، فالسحق يستعمل للشيء المادي، أما الحب فلا يسحق، لأنه أمر معنوي مجرد، وقد استعملته الشاعرة لتبين سطوة الحب على القلب، فكأنه يسحق القلب ويدمره ويجعله غير صالح للحياة وللإستعمال مرة أخرى، فالحب العظيم يكون إذا أخفق الإنسان في الحصول على مراده منه، لأنه يترك القلب سحيقاً مكسوراً لا يعرف كيف يحيا.

وكما قالت الشاعرة في موضع آخر:

كيف تحيا الأشواك والزهر الفا تنّ ذيوي في قبضة الإعصار (٣٥)

نجد استعمال عبارة (قبضة الإعصار) استعمالاً استعارياً، فالإعصار ليس له قبضة، ولكن ما يفعله الإعصار بالزهور هو فعل من له قبضة؛ إذ يجعل الإعصار الأزهار تنوي وتموت بعد أن يمرّ عليها بقوته.

والثاني: الانزياح التركيبي: المتعلق بتركيب اللفظة مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه. فقد يحدث هذا النوع عن طريق الربط بين الدوال في العبارة أو الفقرة ربطاً يختلف عن التركيب العادي^(٣٦)، ليحقق وظيفة فنية وجمالية ودلالية، فلا يمكن أن نعدّ جميع الظواهر اللغوية الخارجة عن النظام اللغوي ذات قيمة فنية وأهمية أسلوبية^(٣٧)؛ لأن الأمر في ذلك راجع إلى الأثر الجمالي والقيمة الدلالية التي يحدثها ذلك الخروج، فالانزياح التركيبي يحقق سمة الإبداعية للنص، وما لم تتحقق تلك الخاصية فلا يعد انزياحاً تركيبياً؛ لأن الانزياح هو الانتقال من المستوى العادي إلى المستوى الفني. فالانزياح التركيبي ((لا يكسر قوانين اللغة المعيارية لبحث عن قوانين بديلة، ولكنه يخرق القانون باعتناؤه بما يعدّ استثناءً أو نادراً فيه))^(٣٨). وللانزياح التركيبي صور مختلفة منها التقديم والتأخير والتعريف والتكبير، والحذف والذكر والاعتراض والاتفات وغيرها.

وينتج الانزياح عن طريق قلق الشاعر في التعبير، عندما تضيق اللغة عن التعبير عن الفكرة، فيكون الشاعر بين الاختيار من المألوف والمعتاد أو الانزياح عنه إلى تعبير غير مألوف. كما في قول الشاعرة نازك الملائكة:

سوف يطوي شبابنا الزمنُ المُس
وتमित الشيوخةُ المرة السو
رغٌ والحلم ينطفي ويضيع
داء أحلامنا ويمضي الربيع^(٣٩)

نجد الشاعرة في هذين البيتين قد فارقت التركيب المألوف واستعملت التقديم والتأخير ليتواءم مع السياق العام أو المعنى العام الذي تريد التعبير عنه، فهي تتحدث عن سرعة الزمن وتقدم الشيوخة ومفارقة الشباب قبل أن يستطيع الإنسان تحقيق أحلامه، فالتركيب المألوف هو (فعل) وبعده الفاعل وبعده المفعول به) لكنها قدمت المفعول به (شبابنا) على الفاعل وهو الزمن لأن العناية والاهتمام هنا بلفظ الشباب والتحسر على ضياعه بسرعة وتلاشيه قبل الاستمتاع به واستثماره.

وكذلك قدمت الفاعل (الحلم) ليكون مبتدأ، مع أن التقدير هو (ينطفي الحلم) ولكن لأن التركيز والعناية والاهتمام هو بالحلم والهفة له والتحسر على ضياع قامت الشاعرة بتقديمه على فعله، أما البيت الثاني (ومتيت الشيوخة...) فقد جاء على ما عليه التركيب المألوف من دون تقديم ولا تأخير ليتناسب مع المعنى الذي يدل على ما تجلبه الشيوخة من الملل والرتابة والعجز عن تحقيق الأحلام التي بإمكان الشباب التوق إليها وتحقيقها لولا تسارع الزمن. كما في قول الشاعرة:

بقايا الاماني وجرح الزمان
ولوعات حب قضى في البعاد
جحيم تلظى وضاع الأمان
حظام تململ فوق القتاد
وأيام عمري بطيء الثوان
يمرّ وقد أثقلت العواد^(٤٠)

نجد الانزياح التركيبي تمثل بعبارات (بقايا الاماني, جرح الزمان, لوعات حب, ايام عمري , بطيء الثواني) , وقد اخذت هذه العبارات معاني حققت صوراً فنية, لانها اعتمدت على الاضافة فاصبحت للكلمة معنى في السياق, وهذا أحدث انزياحاً, لانه للكلمة اثر في الدلالات ولا سيما اذا اضيفت وهذا ما يحدث في الانزياح التركيبي كما مر سابقاً في شعر الشاعرة لانه اذا (ركبت حركة الكلمة سكنت حركة النص الدلالية, وانكمش مجال الانزياح الذي هو اسّ فاعل في تكوين الصورة) (٤١), فالانزياح التركيبي له علاقة بالباعث , إذ تأتي (قيمة النص من قوة الباعث وقدرة المنشئ على صياغة جمال اللغة برغبة متناهية مستندة على بواعث القول) (٤٢), لذلك جاء الانزياح التركيبي عند الشاعرة حاملاً للدلالات التي قصدتها , لان الانزياح التركيبي هو العدول نفسه , وهو (ينأى عن الدلالة اللغوية الى دلالة جديدة تقوم على توليد صورة تحاكي الوجدان وتلبي هدف القائل, فانحراف الدلالة في الكلمة مرهون دائماً بتوليد صورة) (٤٣), فالانزياح التركيبي على وفق هذا المعنى عند الشاعرة اعطى معانيه كما في قول الشاعرة نازك الملائكة:

كيف يا دهرُ تنظفي بين كفي
ك الأمانى وتحمد الأحلام (٤٤)

ونلاحظ الانزياح هنا جاء قائماً على الاستفهام والنداء معاً (كيف يا دهر), ثم جاء الوصف الفعل (تنظفي) والوصف (بين كفيك الأمانى) وانتهت بيئتها ب (تحمد الاحلام), فهذا التساؤل سهل التعبير عن مقاصد الشاعرة وقلقها , متحققاً بالانزياح الذي اضاف للنص قيمة دلالية. فساعد الاستهلال على جذب المتلقي وإثارة انتباهه لما يورد ما بعد النداء, لأن النداء طلب انتباه وإقبال.

التضاد (الطباق):

يعد هذا الفن من المحسنات المعنوية وله القدرة على ان يوفر جمالاً يؤثر في الذوق والفعل والحس جميعاً (٤٥), و((هو الجمع بين ضدتين)) (٤٦), ويعني الطباق اصطلاحاً (الجمع بين المتضادين اي معنيين متقابلين في الجملة) (٤٧), وقد ورد الطباق كثيراً في القصيدة النسوية ونجده عن الشاعرة عاتكة الخزرجي كما في قولها:

وغداً إذا أزف الوداع وأقلعتُ
فلنك الرحيل وأذنت بنواك (٤٨)

فالتضاد ورد في الكلمتين (الوداع, الرحيل) , او في لفظتي (تموت لتحيا) قصيدة الشاعرة لميعة عباس عمارة(أخي رجاء) بقولها:

هناك تموتُ لتحيا البلاد
ونفخر أنك كنتَ الفداء (٤٩)

او في لفظتي (يهدي والضلال) كما في قولها:

متى الله يهدي سفينَ الضلال
فتلمح في اللجّ شطآنها؟ (٥٠)

او في لفظتي (ترتاح - تعب) في قول الشاعرة لميعة عباس عمارة:
وَحَلَّ هُدْبِكَ مُنْسَاباً عَلَى حُلْمٍ وَمِنْ عَلَى كَتْفِ تَرَاحٍ بِالتَّعَبِ (٥١)

إن ابداع الشاعرة الموسيقي قائم على الربط بين احساسها بالقلق وتآلف الاصوات في البيت اعلاه، لكي تشد انتباه المتلقي وتؤثر في عاطفته اتجاه باعث الموسيقى الداخلي الذي ينصب في توظيف حواسه لاظهار الصورة الحاملة عندما تجد من تتراح على كتفه. وهذا الطباق قد أعطى موسيقى جميلة ونغماتاً محبباً لأذن المتلقي. وقد وجد البحث التضاد في قول الشاعرة نازك الملائكة:

ويغدو على بابك الأقوياء ويرجو مواساتك المتعبون
ويسألك الرحمة الاتقياء ويأوي الى ظلك المذنبون (٥٢)

نلاحظ الفاظ (الأقوياء، والمتعبون، والأتقياء، والمذنبون) حيث نجد هذا الاسلوب وسيلة لشد انتباه المتلقي بسبب الطاقة الموجودة داخل كل صورة وهذا يوحي بالقلق الناجم عن معاني هذه الالفاظ (يغدو، ويرجو، ويسأل، ويأوي) إذ انها تدل على الانكسار والانتظار. فعبرت الشاعرة عن اسباب بواعث القلق بالتضاد.

الخاتمة

بعد رحلة وممتعة مع مظاهر القلق في القصيدة النسوية العراقية الحديثة ، والتي تناولت فيها الوظيفة الفنية التي يتجلى فيها الاثر الابداعي في مضامين القصيدة النسوية وتفاعل الدلالية النفسية مع النص الادبي ، لقد كانت القصيدة النسوية تصدر عن فطرة سليمة و أحاسيس صادقة ، وكانت وثيقة الصلة بالحياة الاجتماعية ، وعميقة التعبير عن الانفعالات الإنسانية التي استوعبت هموم الشاعرات العراقيات و عبرت عن الآمهم وأحزانهم و أحلامهم و تفاعلهم مع بيئتهم و وجودهم ، حيث عايش هذا الشعر واقعهم و معاناتهم فيه حتى تمثل هذا الواقع وبواعث القلق في صفحة الشعر الصافية بكل صدق وعفوية ، وقد جنت هذه الدراسة ثماراً عدة نذكر منها:

استعملت الشاعرات الروح الحسية القلقة في رسم الصورة الشعرية وأنطقن هذه المحسوسات الجامدة متمثلة ب (الاستهلال والانزياح والتضاد انموذجاً، حيث بنت في الحياة بصورة رائعة اكسبت شعرهن اصالة التأثير في المتلقي.

الهوامش

- (١) اللغة والإبداع: ٧١
- (٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٨
- (٣) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق محمد الهاشمي، الطبعة الثانية ١٩٦٠م: ٢١٩
- (٤) الاستهلال فن البداية: ٢٣-٢٤
- (٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازمالقرطاجني، تحقيق محمدالحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م: ٣٠٦
- (٦) نفسه: ٣١٠
- (٧) الاستهلال فن البداية: ٢٧
- (٨) المصدر نفسه ٣١
- (٩) نفسه: ٣٤
- (١٠) انشودة المجد : ام نزار الملائكة: ١٤٧.
- (١١) ديوان نازك الملائكة: ٢١
- (١٢) ديوان البعد الأخير: لميعة عباس عمارة، ١٣٣-١٣٤.
- (١٣) ديوان نازك الملائكة: ٩١
- (١٤) المصدر نفسه: ١٤٠
- (١٥) انظر : مجلة آفاق عربية ، العدد (٢-١) كانون الثاني / شباط ١٩٩٨م-رمضان/ شوال / ذو القعدة ١٤١٨هـ- السنة الثالثة والعشرون: ٥٠.
- (١٦) ديوان نازك الملائكة: ٢٠٩
- (١٧) ديوان :سيزيف يتمرد : ٤٥.
- (١٨) ديوان نازك الملائكة: ٢٢٥
- (١٩) المصدر نفسه: ٥٤
- (٢٠) المصدر نفسه: ١٤٥
- (٢١) المصدر نفسه: ٣٤٣
- (٢٢) ديوان نازك الملائكة: ٣٧٢
- (٢٣) المصدر نفسه: ٣٧٦
- (٢٤) القمر في شوارع بغدا : صديرة الحسو .
- (٢٥) - المصدر نفسه.
- (٢٦) ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، د. أحمد محمد ويس، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م: ٣٣
- (٢٧) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ٧
- (٢٨) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، مكتبة الحرية الحديثة، ١٩٨٤م: ١٤٣

- (٢٩) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ابراهيم عبد الجواد، وزارة الثقافة، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م: ١١٧
- (٣٠) اللغة والإبداع: ٨٣
- (٣١) الأسلوبية، مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، الطبعة الأولى: ٥٨
- (٣٢) ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١١١
- (٣٣) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثانية: ٥٤
- (٣٤) ديوان نازك الملائكة: ١٤١
- (٣٥) المصدر نفسه: ٣٥٨
- (٣٦) ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١٢٠
- (٣٧) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية: ٢١٣
- (٣٨) فضاءات الشعرية دراسة في ديوان أمل دنقل، سامح الرواشدة، المركز القومي للنشر، إربد الطبعة الأولى ١٩٩٩م: ٥٣
- (٣٩) ديوان نازك الملائكة: ٢٠٩
- (٤٠) لهيب الروح: ٩٢.
- (٤١) النجم ولمعان الإيحاء: ٦٨.
- (٤٢) اعجازية التكوين الأسلوبية: أ. د. صباح عباس عنوز: ٣٤.
- (٤٣) المصدر نفسه: ٢٢٠.
- (٤٤) ديوان نازك الملائكة: ٣٥٨
- (٤٥) ينظر. فنون بلاغية: ٢٧٠.
- (٤٦) - البلاغة والتطبيق، د. احمد مطلوب، و د. كامل حسن البصير: ٤٣٨.
- (٤٧) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، دار الجبل، بيروت، ١٩٢.
- (٤٨) شعر الدكتور عاتكة الخزرجي: ٥٥.
- (٤٩) الزاوية الخالية: ١١٢
- (٥٠) شعر الدكتور عاتكة الخزرجي: ٥٠.
- (٥١) اغاني عشتار: ١٢٢
- (٥٢) ديوان نازك الملائكة: ٣٥٨

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ابراهيم عبد الجواد، وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٦م.

- الاسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، د. عز الدين اسماعيل، ط٣، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

- الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى رابعة، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، الطبعة الأولى.

- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثانية.

- اعجازية التكوين الاسلوبي في النص القراني ومهمتا البيان التفسيرية والتأويلية: أ. د. صباح عباس عنوز، المركز الاسلامي الثقافي، بيروت: ٢٠١٧.

- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، د. أحمد محمد ويس، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م

- الايضاح في علوم البلاغة، الفزويني، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق محمد الهاشمي، الطبعة الثانية ١٩٦٠م

- البلاغة والتطبيق، د. احمد مطلوب، و د. كامل حسن البصير، ط٢، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

- جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، مكتبة الحرية الحديثة، ١٩٨٤م.

- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية.

- اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، انترنشينال برس، القاهرة ١٩٨٨م.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمدالحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرفية، تونس ١٩٦٦م.

- النجم ولمعان الايحاء تأملات نقدية في نصوص شعرية: أ.د صباح عباس عنوز، منشورات الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق، منشورات اتحاد الادباء، بغداد الطبعة الاولى، ٢٠٢٢.

الدواوين الشعرية

- ديوان البعد الاخير: لميعة عباس عمارة، الطبعة الاولى، الولايات المتحدة الامريكية ١٩٨٧م.

- ديوان الفدائي والوحش: امال الزهاوي، دار العودة، بيروت، ١٩٦٩م.

مظاهر القلق في القصيدة النسوية العراقية الحديثة (الاستهلال والانزياح والتضاد) مثلاً..... (١٣٢)

- الأعمال الشعرية الكاملة: نازك الملائكة، المجلد الاول، دار العودة -بيروت، ط٥: ٢٠١٤م.
- الأعمال الشعرية الكاملة المجلد الثاني، نازك الملائكة، دار العودة -بيروت الطبعة الخامسة: ٢٠١٤م.
- انشودة المجد: شعر ام نزار الملائكة ، مطبعة التضامن ، بغداد ، دت.
- ديوان اغاني عشتار : لميعة عباس عمارة ، مطبعة المؤسسة التجارية ، بيروت : ١٩٦٩م.
- ديوان القمر في شوارع بغداد : صبرية الحسو: مطبعة اتحاد الادباء، ١٩٦١.
- ديوان لهيب الروح : فطينة النائب ،ديوان مطبوع : مطبعة المعارف ١٩٥٥م.
- شعر الدكتورة عاتكة الخزرجي، (المجموعة الشعرية الكاملة، ستة دواوين ومسرحية)، مطبعة الكويت، ١٩٨٦م.
- سيزيف يتمرد: حياة جاسم، مجموعة قصائد، المكتبة المركزية، جامعة بغداد ١٩٧٠م.

المجلات العلمية

- مجلة آفاق عربية، العدد (١-٢) كانون الثاني / شباط ١٩٩٨م-رمضان/ شوال / ذو القعدة ١٤١٨هـ السنة الثالثة والعشرون.

